

ومع هذا لم يكن الأصمعي وسيما ، ولعله كان أقرب إلى الدمامة إن لم يكن دميما فلقد روى البغدادي في كتابه " تاريخ بغداد " عن الأصمعي قال: " دخلت على جعفر بن يحيى بن خالد يوما فقال لي: يا أصمعي هل لك من زوجة ؟ قلت: لا ، قال: فجارية ؟ قلت: جارية للمهنة ، قال: فهل لك أن أهب لك جارية لطيفة ؟ قال: إني لمحتاج إلى ذلك ، فأمر بإخراج جارية إلى مجلسه ، فخرجت جارية في غاية الحسن والجمال والهيئة والطرف والمقال ، فقال لها: قد وهبتك لهذا ، وقال: يا أصمعي خذها ، فشكرته ، وبكت الجارية وقالت: يا سيدي تدفعني إلى هذا الشيخ مع ما أرى من سماجته ، وقبح منظره ، وجزعت جزعا شديداً ! فقال: يا أصمعي هل لك أن أعوضك منها ألف دينار ؟ قلت: ما أكره ذلك ، فأمر لي بألف دينار ودخلت الجارية ، فقال لي: يا أصمعي إني أنكرت من هذه الجارية أمراً ، فأردت عقوبتها بك ثم رحمتها منك ، قلت: أيها الأمير فهلا أعلمتني قبل ذلك ؟ فإني لم آتكَ حتى سرّحت لحيتي ، وأصلحت عمتي ، ولو عرفت الخبر لصرت على هيئة خلقتي فوالله لو رأيتني كذلك لما عاودت شيئاً تنكره منها أبداً ما بقيت " .

ويؤكد هذا أيضاً ما رواه أبو الفرج والشرطي لمناسبة سنذكرها إن شاء الله في مكانها من هجو اسحاق الموصلي له بأبيات يقول في أولها:

أليس من العجائب أن قرداً ***** أسمع باهلياً يستطيل ؟!

ويهجوه في بيتين آخرين يخاطب فيهما الفضل بن الربيع:

عليك أبا عبدة فاصطنعه ***** فإن العلم عند أبي عبدة

وقدمه ، وآثره عليه ***** ودع عنك القُرَيْد ابن القريدة

فتشبيه اسحق له بالقرد مرة وبالقُرَيْد أخرى ، وأنه أسمع ربما يزيد على دمامته ووصفه بالضالة والقصر أيضاً ، وبذلك لا نستطيع أن نقول كان الأصمعي مفرط الطول ، كما لا نستطيع أن نقول إنه كان بائن القصر وإن احتملته مبالغة اسحق ، ولا كان مثلاً في الدمامة والقبح ، لأن شيئاً من ذلك لم يرو عنه ، ولو صح لعلمناه كما علمنا من جحوظة عيني الجاحظ ودمامته ، وقبح عمي بشار وضخامته .